اللغة في شعر الخنساء دراسة الألفاظ والتراكيب البلاغية والتناص

م.م. حازم كامل كيطان ناصر
مديرية تربية ذي قار
hazim.kamil27@gmail.com

الملخص:

تناول هذا البحث دراسة (**اللغة في شعر الخنساء دراسة الألفاظ والتراكيب البلاغية والتناص**) ,وتعد الخنساء من أبرز الشاعرات في العصر الجاهلي وصدر الاسلام ,وانطلاقا ما اهمية دراسة شعرها واسخدامها اللفاظ الغوية والتراكيب البلاغية والتناص, في أغلب اشعارها ,وتكون هذه الدراسة من ثلاث مراحل ، وقد جاءت بتمهيد عن لغة الشعر من حيث المفهوم ونشأة وتاريخ اللغة,ومراحل تطورها.

أما المبحث الاول تناول الالفاظ والتراكيب البلاغية في شعر الخنساء ، وقد وثقنا في هذا المبحث العديد من الشواهدالشعرية, والتي جاءت بها الخنساء في شعرها وما تحوي من الألفاظ ذات دلائل ومعاني تعبر عن رغبة الخنساء في ذكرها في أشعارها ثم جاءت التراكيب البلاغية في شعرها وكيف وظفت الخنساء هذه التراكيب من حيث استخدامها الاستعارة والتشبيه واستخدام الادوات وحروف النداء وغيرها.

إما المبحث الثاني فقد تناول التناص وقد عرفنا التناص لغةً واصطلاحاً ورأي بعض النقاد في التناص, وكذلك تم تقسيم التناص إلى قسمين هما : التناص الديني والتناص الأدبي,وعلاقة هذا التناص مع الاية القرانية والاحاديث والاشعار والامثلة, وذكر عدد من الأمثلة لكل نوع منهما .

الكلمات الافتتاحية :(الخنساء,التراكيب اللفظية,التناص).

Language in Al-Khansa's Poetry: A Study of Words, Rhetorical Structures and Intertextuality

Hazem Kamel Keitan Nasser
Dhi Qar Education Directorate

Abstract:

The study of (language in Al-Poetry, Khansa's the Study of Words, Rhetorical Structures, and Intertextuality) was the focus of this research. During the pre-Islamic and early Islamic periods, Al-Khansa was one of the most prominent poets. Based on the importance of studying her poetry and

her use of linguistic words, rhetorical structures, and intertextuality in most of her poems, we have divided this study into three stages: i) a conceptual preface to the language of poetry, ii) the language's origin and history, and iii) the stages of its development.

The first topic dealt with words and rhetorical structures in Al-Khansa's poetry, and we have illustrated many poetic evidence, which Al-Khansa brought in her poetry and what it contains of words with indications and meanings that express about Al-Khansa's desire to mention it in her poetry. These structures in terms of their use of metaphor and simile and the use of tools and letters of appeal and others. While the second topic dealt with intertextuality, which have well known in language and terminology and the opinion of some critics on intertextuality. The intertextuality was also divided into two parts: religious intertextuality and literary intertextuality, and the relationship of this intertextuality with the Qur'anic verse, hadiths, poems and examples, and a number of examples were mentioned for each type of them.

Kay words: (Al- Khansa', verbal structures, intertextuality).

المقدمة

جاء هذا البحث بعنوان **(اللغة في شعر الخنساء دراسة الألفاظ والتراكيب البلاغية والتناص)** حيث تهدف هذه الدراسة إلى دراسة لغة الشعر عند الخنساء، وقد جاءت بمقدمة عن لغة الشعر من حيث المفهوم ونشأة وتاريخ اللغة ، وخاصة أن اللغة العربية هي من اللغات السامية المعروفة وأنها قد سايرت كل العصور ، وأنواع هذه اللغة في العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام، ولها ارتباط وثيق مع الشاعرة , وقد عاصرت عصرين مهمين بالنسبة للشعر العربي وهما العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام.

أما المبحث الاول تناول الالفاظ والتراكيب البلاغية في شعر الخنساء ، وقد وثقنا في هذا المبحث العديد من الشواهد الشعرية التي جاءت بها الخنساء في شعرها وما تحوي من الألفاظ ذات دلائل ومعاني تعبر عن رغبة الخنساء في ذكرها في أشعارها ثم جاءت التراكيب البلاغية في شعرها وكيف وظفت الخنساء هذه التراكيب من حيث استخدامها الاستعارة والتشبيه واستخدام الادوات وحروف النداء وغيرها.

إما المبحث الثاني فقد تناول التناص وقد عرفنا التناص لغةً واصطلاحاً ورأي بعض النقاد في التناص, وكذلك تم تقسيم التناص إلى قسمين هما : التناص الديني

والتناص الأدبي وذكر عدد من الأمثلة لكل نوع منهما، حيث وجد التناص في شعرها بشكل ملفت للنظر لدى القارئ وهذا ما جعلنا نخصص لهُ مبحث مستقل ثم جاءت الخاتمة بالنتائج التي توصلنا إليها في البحث ثم المصادر والمراجع.

لغة الشعر :

مفهوم اللغة : للغة ألفاظ يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم ، وهي من الأوضاع البشرية ، وأدب لغة أي أمة هو ما أودع في شعرها ، ونثرها من نتائج عقول أبنائها وصور أخيلتهم وطباعهم مما شأنهُ أن يهذب النفس ، ويثقف العقل ، ويقوم اللسان.

واللغة العربية : هي "إحدى اللغات السامية ، وهي لغة أمة العرب القديمة العهد الشائعة الذكر التي كانت تسكن الجزيرة المنسوبة إليها في الطرف الغربي من آسيا "(١).

فاللغة هي وسيلة. التعبير الأولى للإنسان ، حيث أن اللغة قد تمت عبر التاريخ طويل في أرض الجزيرة العربية, وبلاد الشام ، وقد استقرت على شكل الكتابة, والقواعد, والأسس ، وقد أنطلق بها التعبير غنياً, وقوياً, ويدفع الشعر في ميادين متعددة من الحياة.

" ويُظن أنها أقربُ اللغات السامية إلى أصلها ؛ لأن العرب لم تخالط غيرها كثيراً ولم تدخل طويلاً تحت حكم أمةٍ اعجمية "(٢).

نشأت اللغة وتاريخها :

تُعد اللغة العربية من أقدم اللغات المعروفة ؛ إلا أنّها لازالت تتمتع بخصائص تُميزها عن اللغات الأخرى وعلى الرغم من قدمها مثل : (الألفاظ, والتراكيب ، والصرف، والنحو، والادب، والخيال)، وهي تمتلك القدرة على التعبير عن مجاملات العلم المختلفة وتعد اللغة العربية أماً لمجموعة اللغات الحية و المعروفة باللغات الإعرابية والتي نشأت في شبه جزيرة العرب, أواللغات العربيات المتمثلة بالبابلية, والحميرية, والارامية, والحبشية, والعبرية ، إما في العصر الحديث قفد أطلق عليها علماء اللغة اللغات السامية.

يعتبر العالم النمساوي (شلوتزر) " هو أول من أطلق هذه التسمية عام ١٧٨١م حيث اقتبسها من أحد نصوص التوراة المكتوبة بأيدي الأحبار في العهد القديم وذلك من خلال الاعتماد على التقسيم الوهمي للأجناس البشرية المستمدة من أبناء نوح وهم سام وحام ويافث " (٣).

" وليس في مقدور الباحث اليوم أن يكشف عن أطوار النشأة الأولى للغة العربية,لأن التاريخ لم يسايرها إلا وهي وفرة الشباب والنماء ، فإن العرب كانوا أُميين لا تربطهم لا تجارة ولا إمارة ولا دين ، فكان من الطبيعي أن ينشأ من ذلك اختلاف الوضع والإرتجال ومن كثرة الحل والترحال ، وتأثير الخلطة والاعتزال ، واضطراب في اللغة كالترادف " (٤).

أما الشعر فقد نشأ في فترة الجاهلية ويسمى الشعر الجاهلي ، وأن تأثير الحياة البدوية عليهم قد جعلت العرب. مطبوعين على قول الشعر،. ، وأن حياتهم تتصف بالحرية,وكذلك بلاستقلال من القانون, والنظام, ولم يقوموا في تدوين اشعارهم ، ورغم قول العرب الشعر؛ إلا أنّهم أميون، ولتخليد مآثرهم كانوا يتميزون في التأنق في الكلام، وجودة الحفظ ، وقوة الرواية في الشعر.

حيث أن الشعر قد وصّل إلينا عن طريق الرواية ، والذين رووا الشعر الجاهلي بعد ظهور الاسلام هم لا تتعدوا في روايتهم إلى الجيل الرابع أو الخامس.

أنواع لغة الشعر في العصر الجاهلي وصدر الاسلام :

تعتبر اللغة العربية في العصر الجاهلي هي جزء لايتجزء من فصيلة كبيرة من اللغات السامية ، وهناك أنواع من اللغة الشعرية في هذه الفترة وهي :

١. " لغة عربية جنوبية في اليمن : فلغة الجنوب تشمل لغة سبأ ولغة حمير ، وقد يتساهلون في التعبير فيسمونها اللغة الحميرية وهي أقدم من لغة الشمال ، وقد عثر في اليمن على نقوش مكتوبة بهذه اللغة.

٢. لغة غربية شمالية في الحجاز : لغة الشمال أو لغة الحجاز فهي لغة العدنانيين، وهي إحدى لغات الجنوب ، وما روي إلينا من شعر الجاهلي فهو بهذه اللغة

العدنانية ؛ لأن الشعراء الذين قالوا الشعر هم أما من ربيعة ومضر وهما فرعان عدنانيان، واللغة العدنانية هي لغة الشعر الجاهلي ، وهي لغة قريش التي نزل الله بها القرآن الكريم وأفصح العرب هو محمد (ص) " [٥].

إما لغة الشعر في صدر الاسلام, فهي لغة قريش، . ولقريش عظيم الأثر فيها نجم عن اجتماع العرب من خلال القاءات في مشاعر الحج, والأسواق بتهذيب لغتهم ، بأنفسهم، .لاخذهم من لغات القبائل الوافدة عليهم وهو ما خف على اللسان ، وحسن السمع حتى لغطت لهجهم،. وجاد أسلوبهم, وأتسعت لغتهم ؛ لأن ينزل بها خير الكلام كلام الله, ولمكانتهم من الفصاحة, والرياسة حاكاهم شعراء القبائل, وخطبائها في استعمال لغتهم, وقد كان لها الأثر في توحيد اللغة, ونشرها, وترقيتها من حيث أغراضها ، ومعانيها وألفاظها،. وأساليبها،. وتزيد هنا أنه قد أثر فيها ما لم يؤثره أي كتاب سماوي في اللغة التي كان بها ، إذ ضمن لها حياة طيبة وعمراً طويلاً.

المبحث الاول: الالفاظ والتراكيب البلاغية في شعر الخنساء

١. الالفاظ في شعر الخنساء :

تَعد الألفاظ المادة الأساسية في لغة الشعر، وجاء إهتمام البلاغيين,,والنقاد في دراسة اللفظ؛ فالشاعر يستطيع من خلالها.أن يوظف ما يدور في مخيلته من مادة أدبية, وشعرية,.ومن هنا وعند دراسة شعر الخنساء نجد الكثير من الالفاظ الدالة على الحزن في شعرها وهذا نابع من خلال حزنها الشديد على مقتل أخويها (صخر ومعاوية), وهي تعكس حزن الخنساء الأليم على أخويها,,وبالأخص (صخر)، فكانت تجبر عينيها على ذرف الدمع, والبكاء ، وأن لا تجف دموعها، وتطلب من كل ما حولها البكاء؛ فيغلب على شعرها الحزن, والتفجع.

وقد وجد الكثير من الألفاظ في شعرها مثل (البكاء ، والعويل, والباكيات ، وتبكي وجودي والدمع وغيرها) " وهي ألفاظ تدل على الحزن ، وقد استعملت حوالي (١١١) كلمة في الحزن ، والكلمات التي تدل على البكاء هي (٥٥) كلمة والتي ترمز للدمع

(٢٦) كلمة ، وهناك الكثير من الكلمات التي تدل على القبر مثل (الرمس ، والجدث ، واللحد)" [٦] ، ومن الامثلة قول الخنساء :

" **ياعَينِ مالَكِ لا تَبكينَ تَسكابـا** **إِذ رابَ دَهرٌ وَكانَ الدَهرُ رَيّابـا** " [٧]

وكذلك في قولها :

مَنْ كانَ يَوْماً باكياً سَيّـــــــداً **فليبكهِ بالعبراتِ الحـــــــرارْ** [٨]

وكذلك قولها :

" **ما بالُ عَينِكِ مِنها الدَمعُ مُهراقِ سَحّاً فَلا عازِبٌ عَنهـا وَلا راقِ** " [٩]

وقولها :

رَحـمَـةُ اللَهِ وَالسَـلامُ عَـلَيـــهِ **وَسَـقـى قَـبرَهُ الرَبيـعُ خَـريفـا** [١٠]

مِن ضَميري بِلَوعَةِ الحُزنِ حَتّى **نَكَأَ الحُزنُ في فُؤادي فِقاحا** [١١]

نلاحظ في هذه الألفاظ كيف؟ طغى عليها الحزن من خلال (البكاء, والدمع, والنحيب والآهات) فالبكاء المتكرر قد أثبت حزنها الدائم ، بعدما ذاقت آلم الفراق أثر مقتل أخويها وموت زوجها واستشهاد أولادها الأربعة في الدفاع عن الاسلام.

أن الخنساء في مأتم دائم لا يجف لها دمع, ولا مجال للراحة, والتسلية, ودموعها فيضاً, ودراراً, ونجد في شعر الخنساء البكاء, والتفجع, وتدفق العاطفة, والمدح, والتكرار، فمن ناحية البكاء والتفجع, هي دائما ما تخاطب عينيها وتطلب منهما أنّ تفيضا بالدمع وعزائها في صخر هو البكاء, والعويل, وهما يغلبان الصبر عدها حيث تقول :

"**لا يا عَينِ فَانهَمِري بِغُدرِ** **وَفيضي فَيضَةً مِن غَيرِ نَزرِ**

وَلا تَعِدي عَزاءً بَعدَ صَخرٍ **فَقَد غُلِبَ العَزاءُ وَعيلَ صَبري**

لِمَرزِئَةٍ كَأَنَّ الجَوفَ مِنها **بُعَيدَ النَومِ يُشعَرُ حَرَّ جَمرِ** [١٢]

ثم تعود الخنساء بعد البكاء, والتفجع إلى تذكر مناقب أخويها, وشمائلهما, وخصالهما الحميدة فتبدأ, بالمفاخرة بهما, ومدحهما، فتفنى بصفاتهما الاخلاقية, وهنا

قوة الالفاظ والمعنى الذي تقدمه دليلا على تمكنها من اللغة والخزين الهائل منها, حيث تقول :

دَهَتني الحادِثاتُ بِهِ فَأَمسَت عَلَيَّ هُمومُها تَغدو وَتَســـري
لَوَ أَنَّ الدَهرَ مُتَّخِذٌ خَليـــلاً لَكانَ خَليلَهُ صَخرُ بنُ عَمرِو(١٣)

" إنّ قوة المعنى في أغلب قصائدها من قوة المبنى واستعمالها صيغ تشذيباً أو تهذيباً بل أن اللغة تسير إليها منقادة كأنها اطواع لها من بنائها ، لإنها سارت على وتيرة واحدة وخط واحد إلا هو خط التفجع وذرف الدمع حزنا والتياعا " (١٤).

الخنساء من الشعراء الذين عاشوا في فترة الجاهلية والاسلام ، فقد التزمت من حيث الشكل وأسلوب بالقصيدة العمودية ذات قافية واحدة, وكان أكثر أو جل شعرها في الجاهلية قد غلب على اشعارها الطابع الجاهلي ذات الفاظ لها قيمة دلالية, واشارية, ذات طيف وخيال واسع.

يمكن القول أنّ " استهلال القصيدة, ومطلعها فالذي يظهر في ديوانها أنها خالفة النسق الجاهلي ، من حيث الوقوف على الأطلال ، والبدء بالمقدمة الغزلية ، فهي في معظم قصائدها تبدأ بمخاطبة عينيها والحديث عن البكاء والدموع والدهر ثم الالتفات السريع من البكاء والحزن ومخاطبة العين إلى الإشارة بمثاقب المرثي ، وذكر فضائله ومحامدهُ "(١٥)، وتقول في مطلع قصيدتها.

يا عَينِ ما لَكِ لا تَبكينَ تَسكابـــا إِذ رابَ دَهرٌ وَكانَ الدَهرُ رَيّابـــــا
فَابكي أَخاكِ لِأَيتامٍ وَأَرمَلَـــــــةٍ وَابكي أَخاكِ إِذا جاوَرتِ أَجنابـــا
وَابكي أَخاكِ لِخَيلٍ كَالقَطا عُصَباً فَقَدنَ لَمّا ثَوى سَيباً وَأَنهابـــــا
يَعدو بِهِ سابِحٌ نَهدٌ مَراكِلُـــــــهُ مُجَلبَبٌ بِسَوادِ اللَيلِ جِلبابـــــا
حَتّى يُصَبِّحَ أَقواماً يُحارِبُهُـــــم أَو يُسلَبوا دونَ صَفِّ القَومِ أَسلابا
هُوَ الفَتى الكامِلُ الحامي حَقيقَتَهُ مَأوى الضَريكِ إِذا ما جاءَ مُنتابا(١٦)

إنّ مطلع هذه القصيدة هي مخاطبة العين,,والحديث عن البكاء, والدهر وريبهُ ثم الالتفات السريع إلى المرثي للتحدث عن خصاله, وفضائله, وصفاته, وذلك الأخ الذي لاتنتهي صفاته, ولايحملها الرجال من شجاعة, وكرم وغيرها.

" ونجد في هذه المقدمة في معظم قصائدها وإذا لم تصرح بذلك لفظاً فإنها تبدأ بنفس النسق ، ولكن بصورة تلميحية "(١٧).

كما أنّها سعت إلى استخدام المحسنات الموسيقية أخرى, وذلك للتعبير عن صورة نفسية ومعانات حقيقية, وهي تأتي في أبيات مصرعه؛ لاضفاء قيمة موسيقية, ونغمة تتناسب مع المعنى, والشعور النفسي وتقول:

يا عَينِ جودي بِدَمعٍ مِنكِ مُهراقِ إذا هَدى الناسُ أَو هَمّوا بِإِطراقِ(١٨)

وقد أنشدت هذا البيت في رثاء أخيها صخر ذلك الفتى الماجد ، وقد استخدمت لفظة (هدى الناس) أي تقدم نحو الحرب ، ولفظة (هموا بإطراق) أي نظروا إلى الأرض وسكتوا ، وتسأل عينها أنّ تجود في دمعها من أجل من ذهبوا عنها.

٢. التراكيب البلاغية في شعر الخنساء

تستخدم الخنساء العديد من الفنون البلاغية في أغلب اشعارها لما لها من تأثير جمالي، وهي تدل على قدرة الخنساء في التعبير عن حزنها, وآلمها في اشعارها ومن (الفنون البلاغية) التي استخدمتها الخنساء (الاستعارة) : وهي نقل العبارة عن موضع استعمالها من أصلها اللغوي إلى غيره لغرض التعبير عن قوة التصوير, والتخيل, والابداع وايصال ما يروم الشاعر إيصاله إلى المتلقي،, والاستعارة ضرورية في الشعر ، وهو شيء غريزي لدى الشاعر ، وهو يكشف عناصر التشبيه بين الأشياء التي لا صلة بينها.

فقد استعانت الخنساء في هذا اللون البلاغي للتعبير عما يجيش في نفسها ، محاولة تلوين نصّها بهذا اللون البلاغي تقول :

"بَكَت عَيني وَحُقَّ لَها العَويلُ وَهاضَ جَناحِيَ الحَدَثُ الجَليلُ"(١٩)

وهنا تشبه نفسها بالطائر الذي, لا قدرة له على الطيران من شدت فجيعتها, و كما أنّها تستخدم التشبيه, وذلك لإيصال المعنى إلى المتلقي, والتأثير في نفسه, وتقول :

"وَإِنَّ صَخراً لَتَأتَمَّ الهُداةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نار"[٢٠]

ففي هذا البيت تشبه أخاها بالجبال الذي توقد على قمته الناس النار لمعرفة الطريق في الليل, ثم أصبح هذا البيت مضرب مثل سائر ، كما أنّها استخدمت التضاد, والطباق وغيرها من صنوف البلاغة, وتقول :

فَإِن كانَ صَخرُ الجودِ أَصبَحَ ثاوِياً فَقَد كانَ في الدُنيا يَضُرُّ وَيَنفَعُ[٢١]

أن محاولة الخنساء إظهار شعرها بصورة جميلة, وبشكل رائع مما يجعل قارئه يتفاعل مع معانيه,, ويسبح في خياله الجميل, وهو يعيش المأساة,التي رسمتها, وكأنه هو صاحبها, وقد حاولت الخنساء أن تجعل شعرها ذات اللون بلاغية ، وكانت محاولة منها إيصال المعنى إلى قلب المتلقي, وجعله يشعر بهذا المصاب ، إن التفنن في القوافي والتلاعب بالألفاظ واستخدام الفنون البلاغية, وذلك من أجل التأثير في نفس السامع ، ونقل مشاعرها إلى قلوب الآخرين.

كما أنها لونت شعرها بألوان لغوية متعددة, وصياغات مختلفة ، ومتنوعة ، محاولة التأثير في الآخرين ، بما تشعر, وتحس من ألم وحزن.

فمن مظاهر هذا التلوين هو استخدامها للنداء, وتشكل هذا اللون اللغوي باستخدام أكثر من أداة فاستخدمت من أدوات النداء (الياء) و (الهمزة) واحيانا (الياء) بأداة التثنية ومن قولها :

"يا عَينِ إِبكي فارِساً حَسَنَ الطِعانِ عَلى الفَرَس"[٢٢]

وقولها :

"يا عينِ بَكّي بدَمْعٍ غَير إنْزَافِ وابكي لصخرٍ فلنْ يكفيكهِ كافِ
كوني كَوَرقاءَ في أَفنان غيلتها أوصائحٍ في فُروع النخل هتافِ" [٢٣]

ففي هذه الأبيات وغيرها استخدمت "حرف النداء (ياء) وكما هو "معلوم في اللغة أن هذا الحرف يستخدم للنداء البعيد ، ولكنها استخدمته لنداء القريب وهي العين ، وذلك من نتاج الفاجعة التي إلمت بها ، ومن إحساسها الشديد بالفقد اللذين جعلها تنادي عينيها بصوت عال لتحقيق هدفها بصيغة الالتزام "[٢٤].

كما نجد أن الخنساء في ندبها قد استعملت مع (الياء) (الهمزة) وجاء هذا يدل على الشعور النفسي الذي تعاني منه الشاعرة و يغلب عليها الحزن و يدل على عدم توقف الحزن والألم بداخلها وفقد ذكرت ذلك في قولها :

أَيا عَينَيَّ وَيحَكُما اِستَهِلّا بِدَمعٍ غَيرِ مَنزورٍ وَعُلّا[٢٥]

المبحث الثاني

التناص

أ. التناص لغةً : إذا ما تتابعنا كلمة النص نجدها عند ابن منظور " النص رفعك الشيء ، نص الحديث ينصه نصاً رفعه وكل ما أظهر فقد نص وضح,واصل النص اقصى الشيء وغايته" ، أما في معجم الوسيط "بعض الدلالات المولدة للنص؛ فالنص هو صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف ، وما لا يحمل إلا معنى واحداً ولا يتحمل التأويل, والنص من الشيء منتهاه ومبلغ أقصاه"[٢٦].

ب. التناص اصطلاحاً : " هو مصطلحاً جديداً لظاهرة أدبية ونقدية قديمة فالمتأمل في طبيعة التأليفات النقدية العربية القديمة يعطينا صورة واضحة لوجود أصول لقضية التناص فيه ولكن تحت مسميات أخرى ومعنى التناص هنا هو (التعالق) (الدخول في العلاقة) لنصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة "[٢٧]. ويمكن تعريف هذه الظاهرة هو أنّ **التناص** : " هو ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط, والتقنين إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي ويربط ببعض المفاهيم البلاغية القديمة المعروفة في الثقافتين الغربية والعربية وهي المعارضة الساخرة والسرقة "[٢٨]. وتناول العديد من النقاد هذه الظاهرة الادبية, واثرها في الادب العربي, قدم كثير منهم دراسات حول ظاهرة التناص في الادب.

إمّا الناقد (عبدالله القذامي) " فقد حاول ربط التناص ببعض المفاهيم والطروحات النقدية الموروثة ولاسيما نظريات الناقد عبد القادر الجرجاني في البلاغة النقدية وخاصة فيما يتعلق بمفهوم الأخذ وشدة اقترابه من مفهوم التناص الحديث إذ رفض الجرجاني استعمال (السرقة) كما شاعت قبله ويترجم الغذامي التّناص ترجمات عدة فهو يطلق

عليه تارة تداخل النصوص وأخرى النصوص المتداخلة ويطلق عليه تارة ثالثة النصّوصية وقد أعتمد على آراء (كرستيفا)[٢٩] إعتبار التّناص " ظاهرة معقدة تستعصي على الضبط والتقنين ، إذ يعتمد في تميزها على ثقافة المتلقي ، وسعة معرفته وقدرته على الترجيح على أن هناك مؤثرات تحصل التناص عن نفسه ، ومنها التلاعب باصوات الكلمة وتصريح المعارض ، واستعمال لغة وسط معين والاحالة على جنس خطابي برمته وهنا ويأخذ التناص أكثر من سياق يصل المتلقي من خلاله إلى إدراك ايفاده واستكناه مدلوله إما أن يكون اعتباطياً يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي وإما يكون واجباً بوجه المتلقي نحو مظانه ، كما أنه قد يكون معارضة مقتدية أو ساخرة أو مزيجاً بينهما "[٣٠].

نجد الخنساء تنطلق إلى اللغة والموروث الأدبي من أجل أنّ تستقي منه كل ما يطفئ نار شوقها, وسقي مشاعرها, بالحزن, والألم الدائم من أجل تصوير ما يدون في أعماق نفسها فتظهر لنا صورها التناصّية من مصادر متنوعة وكبيرة ، قد واجهتها في حياتها ، وتجد أن التناص عندها قد أنقسم إلى تناص ديني وتناص أدبي.

التناص الديني :

إنّ المصدر الأول الذي أخذ منه الشعراء, والأدباء،هما القرآن الكريم والاحاديث النبوية؛ ولذلك يعدان هما المنبع للقيم الروحية, والفكرية, والابداعية ، وقد اشتملت أغلب النصوص الأدبية على الكثير من المفردات, والتراكيب, والمعان, والمضامين القرآنية والدينية وقد وردت في الاحاديث والسيرة النبوية حيث أن استحضار هذه النصوص يُعد بمثابة قوة تقي النّص, وتجعله أكثر قوة, وتماسك في بناءه ، و من هنا يجيء التّناص الديني من أجل جذب المتلقي إلى النّص بما يحويه من ايحاءات وتأثيرات في النفس ، يعود اتساع مساحة النص إلى " خاصية جوهرية في هذه النصوص تلقي مع طبيعة الشعر نفسه ، لأن النفس تنزع إلى حفظه ومداومته لاهميته وجماله "[٣١]. وتجسد ذلك من خلال التناص الذي ارتسم في اشعارها, إنّ الخنّساء وما تملك من ثقافة تتيح لها أنّ تستّحضر الموروث الديني في أشعارها واستخدام النّص

القرآني بشكل جميل حيث لا يشعر القارئ أي غرابة في ذلك بل يشعر بالارتياح حيث تقول :

" أَبَعدَ اِبنِ عَمروٍ مِن آلِ الشَّرِيدِ حَلَّت بِهِ الأَرضُ أَثقالَهـــــــا
فَخَرَّ الشَوامِخُ مِن قَتلـــــــهِ وَزُلزِلَتِ الأَرضُ زِلزالَهـــــــا " (٣٢)

حيث نرى في هذه الأبيات أثر وقع مقتل أخاها معاوية، ولعظيم المصّيبة التي وقعت عليها فقد جاءت بهذه الصورة المزلزلة، وكأن الجبال قد خرت ساقطة فحين قراءة هذه الأبيات يذهب المتلقي مباشرة إلى قوله تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ (٣٣).

ويمكن القول " بأن هناك مفردات لغوية اكتسبت هوامش إضافية نتيجة لدخولها في التراكيب القرآنية ، حتى يصبح لنا القول أنها مفردات قرآنية حيث بعد تمييز السياق وتغير الوظيفة النحوية يظل لها هذا الطابع ، فإذا وظفت في التركيب ما اشاعت فيه بعضاً من هوامش المكتسبة ، ومن ثم دلت على ظواهر تناصية "(٣٤).

وتقول الخنساء في أحدى قصائدها :

وَكائِن قَرَنتَ الحَقَّ مِن ثَوبِ صَفوَةٍ وَمِن سابِحٍ طِرفٍ وَمِن كاعِبٍ بِكرِ (٣٥)

وإذا قرأنا هذا البيت لوجدنا لفظة (كاعب) هي لفظة قرآنية قد أوجدتها الشاعرة في هذا البيت وأن تناصها يكون مع قوله تعالى : ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً﴾(٣٦).

ومن هنا الخنساء تصور لنا كيف إن (صخر) كريم إذا أعطى يعطي بكل كرم وقد رسمت لنا صورة جعلت عطاء (صخر) منقطع النظير؛ ولأنها تنظر إليه على أنه أجود وأكرم من أي إنسان آخر, ونجد الكثير من الألفاظ والمعاني القرآنية ، قد أوجدتها الخنساء في شعرها وزادت خزينها الغوي عندما جاء الاسلام ونزل القران الكريم, ومن ذلك قولها :

لا خَيرَ في عَيشٍ وَإِن سَرَّنا وَالدَهرُ لا تَبقى لَهُ باقِيَـــــه
كُلُّ اِمرِئٍ سُرَّ بِهِ أَهلُـــــهُ سَوفَ يُرى يَوماً عَلى ناحِيَه(٣٧)

في هذين البيتين نجد الدلالة واضحة ، فهي تسير بالمتلقي إلى آيات من القرآن الكريم, وكذلك نجد التناص مع الأحاديث الشريفة النبوية وقد جسدت ذلك الخنساء في أشعارها ، وتعتبر الأحاديث النبوية بلاغة الشعراء لفظاً ومعنى ومن قولها :

يَندُبنَ فَقدَ أَخي النَدى وَالخَيرِ وَالشِيَمِ الصَوالِحِ

وَالجودِ وَالأَيدي الطِوالِ المُستَفيضاتِ السَوامِحِ[٣٨]

قد استخدمت الخنساء هذا التناص مع الآيات القرآنية والأحاديث من أجل إثراء نصوصها الشعرية, ونجد أن الخنساء جاءت بهذه الألفاظ من الأحاديث النبوية الشريفة في قول نبي الإنسانية محمد(7) حيث قال لنسائه ((أسرعكن لحاقاً بي ، أطولكن يداً))[٣٩]، ومن هنا الرسول كان يقصد أن اطولهن يداً في الخير. والصدقة ومساعدة الآخرين فهن نساء النبي طاهرات مطهرات لا يأتين السوء .

التناص الأدبي :

يوجد هذا المصطلح في الأدب العربي، وأنشغل النقاد به, وهو يعود للناقدة (جوليا كرستيفا),وقد برز أهميتة في النظريات البنيوية وما بعد البنيوية ويقصد به تشابه بين نص وآخر, أو بين عدة نصوص, وهي تعني تفاعل الأسلوب بين النصوص, وتداخلها, أو الايماء لها واستخدامها.

وقد استثمرت الخنساء النصوص الشعرية في قصائدها ، وقد جاءت نصوص كثيرة فيها تناص مع أشعار الجاهلية والإسلام ومن ذلك قولها :

وَخَيلٍ تَكَدَّسُ بِالدارِعينَ نازَلتَ بِالسَيفِ أَبطالَها[٤٠]

وهنا الخنساء رسمت صورة الخيل, وهي صورة الخيل المشابهة التي رسمها شعراء الجاهلية منهم (المهلهل بن ربيعة) للخيل, وقد جاءت لفظاً ومعناً حيث يقول المهلهل:

وخَيْل تَكَدَّسُ بالدَّارِعِين كمَشْيِ الوُعُول على الظاهِرَهْ[٤١]

(تكدس الخيل) : " أي ازدحمت في السير، وركوب بعضها بعضاً (وتكدس الفرس): أي مشى كأنهُ مثقل (الدارعين) وهي جمع الدروع وهو لبس الدرع ، (الوعول): جمع وعل هو تيس الجبل وله قرنان قويان كسيفين "[٤٢]. تقول الخنساء :

فَنِساؤُنا يَندُبنَ نَوحـــاً بَعدَ هادِيَةِ النَوائِـــــح

شَعِثَت شَواحِبَ لا يَنينَ إِذا وَنى لَيلُ النَوائِـــــح

يَحنُنَّ بَعدَ كَرى العُيونِ حَنينَ والِهَةٍ قَوامِـــــح

يَندُبنَ فَقدَ أَخي النَـدى وَالخَيرِ وَالشِيَمِ الصَوالِح[٤٣]

وهنا الخنساء تسقط رؤيها على النّص فتبدع فيه لا تنقل النّص الشعري نقلاً حرفياً, ولا تاماً ، بل تجسد ما يدور في خلجات نفسها العميقة ، حيث انصهرت الخنساء في هذا النّص مع ما قال فيه الربيع بن زياد حينما قتل أخوه (مالك) , وقد إمتد حزنه إلى أعماق نفسهِ وقد أحاط الحزن جميع جوارحه,وأصبح ملاذه ، كما هو الحال لدى الخنساء وقال بعد مقتله :

" مَن كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بنصف نهـارِ

قد كنَّ يخبأن الوجوه تستـراً واليوم حين بدونَ للنظـــارِ

يجد النساء حواسراً يندبنــه يضربنَ أوجههن بالأحجارِ "[٤٤]

إنّ تشابه التّجربة الشّعرية لدى الخنّساء,مع شعراء آخرين وحالة الضّياع التي تشعر بها وما رافقها من فقدان الإحسّاس بالذات لديها وهي تجربة لدى شعراء العرب في العصر الجاهلي ، حيث كان الفقدان والفجع الؤلم هو الحافز الشعري لديها وخاصة تجربة الألم والحزن على أخيها (صخر) وهذا الحزن جعلها تصفه بأدق التعابير, والرموز الوجدانية حيث تقول في صخر :

أَغَرُّ أَزهَرُ مِثلُ البَدرِ صورَتُهُ صافٍ عَتيقٌ فَما في وَجهِهِ نَدَبُ[٤٥]

وقد أوجدت هذا التناص مع قول الشاعر (لبيد بن ربيعة العامري) تبدو الصورة الواضحة وذلك في قوله :

أَلفَيتَ أَربَدَ يُستَضاءُ بِوَجهِهِ كَالبَدرِ غَيرَ مُقَتَّرٍ مُستَأثِرِ[٤٦]

أما الأمثال القديمة لها الاثر في الادب والشعر خاصة؛ فقد أوجدت الخنساء لها تناصات عديدة معها ، وخاصة أن هذه الأمثال أوالحكم هي جمل قصيرة تأتي من الواقع الحياتي كانت متداولة بين الناس ، وكل من يقدمها تعبير وجهة نظر في موضوع ما ، وكان له صدى قوي في كثير من جوانب الحياة, ومن هنا؛ فإن المثل هو قول تصدر عن تجربة فردية أو جماعية صادقة وحقيقية، وهو أيضاً تعبير عن حياة الأمم والشعوب بكل تاريخها, ورجالها, وبيئتها, وهو يُعّد المثل لفلسفة أخلاقية واجتماعية معبرة عن حياة الفرد والمجتمع ، وهي فلسفة روحية وروحانية وقد انتقل المثل من إنسان إلى آخر من جيل إلى جيل,عبر فترات زمنية متعاقبة والخنساء جسدة ذلك في اشعارها .

"يوْماً بأوْجَدَ منّي يوْمَ فارَقَني صخرٌ وَللدَّهرِ إحلاءٌ وَإمرارُ" (٤٧)

وفي هذا البيت جاء التناص قول المثل (ما أحلى في هذا الأمر وما أمر) حيث أن الخنساء تتعصب من هذا الأمر وهو الدهر الذي أفجعها بصخر وهذا الدهر أتى عليها بحلوه, ومره, وعذابه مرة أخرى ومن هنا يمكن قول أن الخنساء قد وصفت مشاعرها بشكل يصل إلى المتلقي وقد كسبت التعاطف من خلال التناصية الجملية.

الخاتمة

تناول هذا البحث لغة الشعر عند الخنساء وجاء :

١- لغة الشعر ونشأتها وتطورها وتأثيرها على الخنساء .
٢- الالفاظ كانت تمثل لغة الشعر عند الخنساء ,وقد كتسبت الفاظها من عصرين هما العصر الجاهلي والعصر الاسلامي ,وجاءت الفاظها معبرة عن مراثيها الحزينة ٠
٣- استخدام التراكيب البلاغية,والفظية في قصائدها المرثية ,وقد عبرة عنها بكل لوعة وحزن مما أغنت اللغة الشعرية الخاصة بها ٠
٤- استخدام اللفاظ القرانية من أجل التاثير في المتلقي واثبات قدرتها الشعرية ٠
٥- التناص استخدمته بشكل ملفت مع النصوص القرانية والاحاديث النبوية ,وكذلك الاشعار الجاهلية والاسلامية ,الامثال.
٦- عرف شعر الخنساء بأنه شعر مرتبط بالواقع الاجتماعي معيشي وانتج شعرا صادقا أغلبه ذاتي يعبر عن مرارة الفراق من موت الاخوة والزوج والابناء .
٧- الحزن كان له دور في رسم اشعارها ,وهو كل مايتعلق بالكآبة والأسى والبكاء.

الهوامش

(١) جواهر الادب ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ، دار الكتب ، بيروت : ٢/٢٤١.

(٢) الوسيط في الأدب وتاريخه ، الشيخ أحمد الاسكندراني ، والشيخ مصطفى عنابي ، دار المعارف، مصر ، ١٩١٦م : ٥.

(٣) كيفية نشأة اللغة العربية ، إسراء عووادة ، ٣ ديسمبر ، ٢٠٢٠. موقع الشبكة العنكبوتية (نت).

(٤) تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، دار المعارف ، بيروت ٢٠٠٠ : ١٥.

(٥) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ، سرحان أبو النجا ومحمد الجنيدي ، الرياض ، ١٩٥٧ : ٣٨.

(٦) التركيب اللغوي في شعر الخنساء ، في ضوء علم اللغة الحديث ، اعداد : ميلود حركاتي ، ٢٠٠٧.

(٧) ديوان الخنساء ,حمدون طماس ,ط١ ,٢٠٠٣,دار المعرفة ,لبنان بيروت , ١٣.

(٨) ديوان الخنساء,مصدر سابق: ٦١.

(٩) المصدر نفسه : ٨٩.

(١٠) المصدر نفسه ٨٤.

(١١) المصدر نفسه : ٤٣.

(١٢)ديوان الخنساء المصدر سابق : ٤٤.

(١٣),مصدر سابق : ٤٤

(١٤) التركيب اللغوي في شعر الخنساء : ١١.

(١٥) الصورة الفنية في شعر الخنساء ، د. محمد ناصر ، مجلة الدين الوطن ، بحث, نشر ٢٠٠٦/٩/٣.

(١٦) ديوان الخنساء ، حمدو طماس : ١٣.

(١٧) الصورة الفنية في شعر الخنساء. ١٥

(١٨) ديوان الخنساء : ٨٨.

(١٩) ديوان الخنساء : ٩٤.

(٢٠) المصدر نفسه : ٤٦.

(٢١) المصدر نفسه : ٨١.

(٢٢) ديوان الخنساء : ٧٣.

(٢٣) المصدر نفسه : ٨٣.

(٢٤) الصورة الفنية في شعر الخنساء,٥٠

(٢٥) ديوان الخنساء : ٩٣.

(٢٦) الاسلوب والاسلوبية ، غراهام هاف ، ترجمة : كام سعيد الدين ، دار الافاق العربية ، بغداد ، العراق ، ١٩٨٥.

(٢٧) التراث في شعر الرواد الحديث ، أحمد عرفات الغاوي ، مطابع البيان التجارية ، دبي ط١ ، ١٩٩٨.

(٢٨) بنية التناص في الشعر الجاهلي ، عواد كاظم لفته ، وفاطمة ضمد شهد ، بحث مجلة الادب ، ذي قار ، ٢٠١٣: ١٠٢.

(٢٩) بنية التناص في الشعر الجاهلي ، عواد كاظم لفته ، وفاطمة ضمد شهد,مصدر سابق : ١٠٢.

(٣٠) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، محمد مفتاح ، المركز القافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٢ : ١٣١.

(٣١) انتاج الدلالة الادبية (قراءة في الشعر والقصص المسرحي) ، صلاح فضل ، هيئة مصر للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٣ : ٤١.

(٣٢) ديوان الخنساء : ١٠٠.

(٣٣) سورة الزلزلة : ١ - ٢.

(٣٤) علم البديع بين الاتباع والابتداع ، حسن عبد الجليل ، دراسة نظرية وتطبيقية في شعر الخنساء ، دار الوفاء ، ط١، ٢٠٠٧ : ١٢٣.

(٣٥) ديوان الخنساء : ٤٩.

(٣٦) سورة النبأ : ٣٣.

(٣٧) ديوان الخنساء : ١٢٢.

(٣٨) المصدر نفسه : ٢٧.

(٣٩) صحيح مسلم ، مسلم بن العجاج النيسابوري ، ابو الحسين القشيري ، تحقيق : د. فؤاد عبد الباقي ، دار التراث ، بيروت ، لبنان ، ج٤ ، رقم الحديث ٢٤٥٢.

(٤٠) ديوان الخنساء : ١٠١.

(٤١) الحماسة ، ابي تمام ، ط١, دار الكتب العلمية , مصر : ٤٩٤.

(٤٢) الصورة الفنية في شعر الخنساء ، سليم بن ساعد بن السلمي ، رسالة ماجستير ، أدب جامعة مؤتة ، ٢٠٠٩.

(٤٣) ديوان الخنساء : ٢٦ - ٢٧.

(٤٤) كتاب الامالي ، السيد مرتضى : ج١,المكتبة الشيعية , د ط: ١٥١.

(٤٥) ديوان الخنساء : ١٧.

(٤٦) ديوان لبيد بن ربيعة ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٦ : ٧٥.

(٤٧) ديوان الخنساء : ٤٦.

المصادر والمراجع

(١) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ، سرحان أبو النجا ومحمد الجنيدي، الرياض ، ١٩٥٧م.

(٢) الاسلوب والاسلوبية ، غراهام هاف ، ترجمة : كام سعيد الدين ، دار الافاق العربية ، بغداد ، العراق ، ١٩٨٥م.

(٣) انتاج الدلالة الادبية (قراءة في الشعر والقصص المسرحي) ، صلاح فضل ، هيئة مصر للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

(٤) بنية التناص في الشعر الجاهلي ، عواد كاظم لفته ، وفاطمة ضمد شهد ، بحث مجلة الادب ، ذي قار، ٢٠١٣م.

(٥) تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، دار المعارف ،لبنان, بيروت ٢٠٠٠م.

(٦) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، محمد مفتاح ، المركز القافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٢م.

(٧) التراث في شعر الرواد الحديث ، أحمد عرفات الغاوي ، مطابع البيان التجارية ، دبي ط١ ، ١٩٩٨م.

(٨) التركيب اللغوي في شعر الخنساء ، في ضوء علم اللغة الحديث ، اعداد : ميلود حركاتي ، ٢٠٠٧م.

(٩) جواهر الادب ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ، دار الكتب ، بيروت.

(١٠) الحماسة ، ابي تمام ، ط١, دار الكتب العلمية ,مصر, دت .

(١١) ديوان لبيد بن ربيعة ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٦م.

(١٢) صحيح مسلم ، مسلم بن العجاج النيسابوري ، ابو الحسين القشيري ، تحقيق : د. فؤاد عبد الباقي ، دار التراث ، بيروت ، لبنان ، ج٤ ، رقم الحديث ٢٤٥٢.

(١٣) الصورة الفنية في شعر الخنساء ، د. محمد ناصر ، مجلة الدين الوطن ، نشر ٢٠٠٦/٩/٣م.

(١٤) الصورة الفنية في شعر الخنساء ، سليم بن ساعد بن السلمي ، رسالة ماجستير، أدب جامعة مؤتة ، ٢٠٠٩.

(١٥) علم البديع بين الاتباع والابتداع ، حسن عبد الجليل ، دراسة نظرية وتطبيقية في شعر الخنساء ، دار الوفاء ، ط١، ٢٠٠٧م.

(١٦) كتاب الامالي ، السيد مرتضى,ج ١,المكتبة العلمية, ط١.

(١٧) كيفية نشأة اللغة العربية ، إسراء عووادة ، ٣ ديسمبر ، ٢٠٢٠. موقع الشبكة العنكبوتية (نت).

(١٨) الوسيط في الأدب وتاريخه ، الشيخ أحمد الاسكندراني ، والشيخ مصطفى عنابي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩١٦م.

(١٩)ديوان الخنساء ,حمدون طماس ,ط١ ,٢٠٠٣,دار المعرفة ,لبنان, بيروت.